

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[491] (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). ثُمَّ فِي آيَةِ الْآخِرَةِ يَبَيِّنُ الْأَزْوَاجَ الْأَرْبَعَةَ الْأُخْرَى مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي خَلَقَهَا لِلْبَشَرِ، إِذْ يَقُولُ: وَخَلَقَ مِنَ الْإِبِلِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَمِنَ الْبَقَرِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، فَأَيُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَزْوَاجِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ: الذُّكُورَ مِنْهَا أَمْ الْإِنَاثَ؟ أَمْ مَا فِي بَطُونِ الْإِنَاثِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ: (وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنْثَيَيْنِ، أَمْ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنْثَيَيْنِ)؟! وَحَيْثُ أَنَّ الْحُكْمَ بِتَحْلِيلِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ وَتَحْرِيمِهَا إِنْ مَا هُوَ بَيِّنٌ اللَّهُ خَالِقُهَا وَخَالِقُ الْبَشَرِ وَخَالِقُ الْعَالَمِ كُلِّهِ، مِنْ هُنَا يَتَوَجَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدَّعِي تَحْلِيلَ أَوْ تَحْرِيمَ شَيْءٍ مِنْهَا، إِذَا مَا أَنَّ يَثْبُتَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ شَهَادَةِ الْعَقْلِ، وَإِذَا مَا أَنَّ يَكُونُ قَدْ أُوحِيَ لَهُ بِذَلِكَ، أَوْ يَكُونُ حَاضِرًا عِنْدَ الذَّبِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَ صُدُورِ هَذَا الْحُكْمِ مِنْهُ. وَلَقَدْ صَرَّحَ فِي آيَةِ السَّابِقَةِ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَى الْمُشْرِكِينَ أَيُّ دَلِيلٍ عِلْمِيٍّ أَوْ عَقْلِيٍّ عَلَى تَحْرِيمِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ، وَحَيْثُ أَنَّهُمْ لَوْ يَدَّعَوْنَ أَيْضًا نَزُولَ الْوَحْيِ عَلَيْهِمْ، أَوْ النَّبُوءَةِ، فَعَلَى هَذَا يَبْقَى الْإِحْتِمَالُ الثَّلَاثُ فَقَطْ، وَهُوَ أَنَّ يَدَّعَوْنَ أَنَّهُمْ حَضَرُوا عِنْدَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسَلِهِ يَوْمَ أَصْدَرُوا هَذِهِ الْأَحْكَامَ، وَلِهَذَا يَقُومُ اللَّهُ لَهُمْ فِي مَقَامِ الْإِحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ: هَلْ حَضَرْتُمْ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَشَهِدْتُمْ أَمْرَ اللَّهِ لَهُمْ بِتَحْلِيلِ أَوْ تَحْرِيمِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيَّاكُمْ اللَّهُ بِهَا)؟! وَحَيْثُ إِنََّّ الْجَوَابَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ هُوَ الْآخِرُ بِالْإِنْفِي وَالسَّلْبِ، يَثْبُتُ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَلِكُونَ فِي هَذَا الْمَجَالِ إِلَّا الْإِفْتِرَاءَ، وَلَا يَسْتَنْدُونَ إِلَّا إِلَى الْكُذْبِ. وَلِهَذَا يُضِيفُ فِي نَهَايَةِ آيَةِ قَائِلًا: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، إِنََّّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(1). فُيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ آيَةِ أَنَّ الْإِفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، إِنََّّ اللَّهَ ظَلَمَ _____ 1 - ثَمَّةُ إِحْتِمَالَاتٍ عَدِيدَةٌ حَوْلَ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ: "بِغَيْرِ عِلْمٍ"، وَلَكِنْ لَا يَبْعَدُ أَنَّ يَكُونُ هَذَا الظَّرْفُ مُتَعَلِّقًا بِفَعْلٍ: "يُضِلُّ" يَعْنِي أَنََّّهُمْ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ يُضِلُّونَ النَّاسَ.